

المحرك الحقيقي للتناقضات الداخلية للمجتمع التاريخي هو ثنائية المرأة-الرجل

الدولة هي شكل تناقض متجمد

كشف القائد عبدالله أوجلان، كمنقّب ذهني، عن الخريطة الجينية الاجتماعية للمجتمع، وهذا ليس مجرد قراءة للتاريخ، بل هو أيضاً اكتشافٌ عظيم يفتح الأبواب على مصراعيه للبشرية من أجل التوجه نحو أفقٍ جديدة للحياة الحرة، كما ويتجلى معنى هذا الاكتشاف عندما يواجه كل فرد هذا الفكر ويناقشه ويفهمه ويحدد وجهته الخاصة في بيئته الخاصة، سواء في المنزل أو في المدرسة أو العمل أو المؤسسات والأكاديميات والمصانع والعلاقات الاجتماعية، وبالتالي الوصول إلى كل ما هو جديد بحب وفضول، ولكن إذا لم يتم تغذية هذا الفضول بعملية تفكير ونقاش منظم، سينجر الفرد إلى منحى جدلي يومي وسطحي جذاب ولكنه محدود.

علماً أن هذه الباراديجما الجديدة هي أرضية سوسيولوجية وفلسفية وأخلاقية لفتح آفاق الفكر وتحديد الاتجاه والوصول إلى حياة حرة، ولا يمكن بلوغ هذه الأرضية إلا بالابتعاد عن الجدل اليومي وانخراط الفرد في تطبيقٍ إبداعيٍّ لفكره الذاتي، لأنه لا ينبغي لعملية المنظور هذه، والتي تحدد الاتجاه التاريخي، أن تكون ضحية للجدالات، بل على العكس، ينبغي على كل فرد إظهار المشاركة الفعالة في هذه العملية، وإعطائها معنىً من خلال عيش هذا التاريخ بجرأة، لأنه في الحقيقة إن هدف الحرب الخاصة والدوغمائية السطحية هو إبعاد الشعوب والأفراد عن هذا العمق، وفصلهم عن جوهرهم الفكري والاجتماعي.

على الجميع أن يصبح فاعلاً

يتم تدوين التاريخ اليوم، لذا يجب ألا نكتفي بمشاهدة هذا التاريخ، بل يجب أيضاً أن نحدد الاتجاه، وهذا يتطلب المناقشة والتفكير والإنتاج العملي، وكذلك يجب على الجميع من خلال علاقاته الذاتية مشاركة نداء القائد عبدالله أوجلان: "على الجميع أن يصبح فاعلاً". نحن أيضاً نريد أن نكون جزءاً من هذه النقاشات لفهم التفسيرات الجديدة للعلوم الاجتماعية التي تُنير العقول وجعل هذه التفسيرات مفهومة، وبالتالي نقوم معاً بإنتاج معنى، لأن هذا ليس مجرد نشاط فكري، بل هو في نفس الوقت خطوة ضرورية لبناء مجتمع أخلاقي وحر.

اليوم، نحن نواجه سؤالاً يلامس جذور جميع أزمت المجتمع؛ كيف ظهرت الدولة ولماذا؟ لماذا تم قمع المرأة والطبيعة وفئة الشباب؟ هذه الأسئلة ليست حاسمة فقط لمشاريع الحرية في الماضي، بل هي حاسمة أيضاً للحاضر والمستقبل، وفي الحقيقة لم يتمكن التحليل الطبقي الماركسي من أن يكون إجابة على هذه الأسئلة، لأننا مدينون في تكوين الدولة إلى قمع وتعطيل التناقضات الاجتماعية وليس إلى هذه التناقضات نفسها، فالدولة هي شكل من أشكال التجميد الذي يثبت التناقضات الحية للمجتمع الطبيعي، ويوجهها في اتجاه واحد ويحولها إلى شكل من أشكال السلطة.

يجب فهم كيفية تأسيس تاريخ الطبقة جيداً من أجل مشروع الحرية

كيف ابتعد المجتمع إلى هذا الحد عن جوهره الطبيعي وعن تناقضاته الديالكتيكية الخلاقة؟ إن البحث عن إجابة لهذا السؤال ليس مجرد دراسة للماضي، بل هو أيضاً المدخل الضروري لفهم الحاضر وبناء المستقبل من الآن. إن اغتراب المجتمع عن الطبيعة والمرأة وتناقضاته الداخلية مرتبط بتوقف الحركات الداخلية التي تُضفي معنى الحياة وتدفقها في مرحلة ما، فمن دون فهم كيفية تأسيس السلطة والدولة والطبقة والعقلية الذكورية تاريخياً، لا يمكن تأسيس أي علم اجتماعي ولا يمكن تطوير مشروع الحرية.

استند نموذج إنتاج المعرفة في المجتمع الكومونالي إلى الملاحظة والخبرة والحدس والترابط والمعنى والتفكير الشمولي، ففي هذا النموذج، كانت المعرفة مقدسة لأنها تخدم وحدة وسلامة المجتمع وتطوره الداخلي وانسجامه مع الطبيعة، وفي نفس الوقت كانت هناك تناقضات بين الذكر والأنثى، الشباب وكبار السن، الإنسان والطبيعة، وكانت هذه التناقضات قيمة تكاملية شاملة لديناميكية الحياة وتطورها، ولكن تم إيجاد حل للتناقضات الناتجة وفقاً للمعايير الكومونالية، مما ساهم في تحقيق تدفق اجتماعي تحرري.

لقد حدثت نقطة تحول ولحظة انكسار تاريخي نتيجة توجيه التناقضات الداخلية للمجتمع الكومونالي إلى الخارج -أي نحو المركز- من قِبَل العقلية الذكورية (الرجل الماكر- المسن ذو الخبرة- شامان)، بدلاً من توجيهها نحو لب عملية التنمية الداخلية.

دعوني أذكركم بأنه يكاد يكون من المستحيل بناء علم اجتماعي سليم دون فهم ما اكتشفه الكهنة والشامان، ونقشَ اليوم في جميع الطبقات الحاكمة والعلوم، لأن الشامان-الكاهن يعدّ أول من أدرك مرونة العقلية، فالكهنة هم مَنْ حوّلوا هذه العقلية المرنة إلى شكل يمكن توجيهه وجعله يتماشى مع مصالحهم، إذ أنّ السمة الأساسية للعقلية هي مرونتها، لأنها تتشكل وفقاً لأنماط الحياة والتصورات المختلفة في كل نظام اجتماعي، فمتلماً يمكن للعقلية المرنة أن تكتسب طابعاً تحريراً وإبداعياً وأخلاقياً وكذلك بإمكانها أن تتخذ طابعاً مهيمناً وقمعياً وهرمياً، وبالتالي هذه الثنائية تجعل من العقلية ساحة صراع استراتيجية على مرّ التاريخ، ولهذا السبب، فإن ميول العقلية الذكورية والهرمية، وجّهت التناقضات الداخلية إلى الخارج بدلاً من إيجاد حل لها داخل المجتمع الكومونالي، مما أدى إلى تجميد التناقضات الديالكتيكية، وتمهيد الطريق لقطيعة مطلقة أحادي الجانب. يقوم الكهنة بإبعاد المعرفة عن التنظيم الكومونالي، وعن إنتاج المعنى المشترك للمجتمع، ويربطونها بالسماء والآلهة، ويتم فرضها على المجتمع من الأعلى إلى الأسفل، والآن؛ أصبحت المعرفة أداة السلطة المركزية للطبقة الكهنوتية، وليست ناتجة عن تجربة الحياة والتنظيم الذاتي وعلاقات المجتمع الكومونالي المحلي، وفي الحقيقة لم تتم مشاركة هذه المعرفة مع المجتمع، بل على العكس، تم تقديمها في شكل حقيقة إلهية قادمة من خارج المجتمع، وبالتالي تبدأ مرحلة المعرفة قوة، المعرفة سلطة، وهكذا لم تُعد المعرفة تراكمًا داخلياً، أو تجربة وخبرة، فهذه هي اللحظة التي يظهر فيها عالم الفكر والعقلية مع المركزية ويتحول إلى شكل تأسيس هرمي.

إن المشكلة ليست فقط في إضفاء الطابع الخارجي على المعرفة، بل في وصول هذه المعرفة إلى نقطة شراكة مع العقلية الهرمية والدولة الطبقية، وتحويلها إلى صيغة تفرض السيطرة على المجتمع، وبالتالي لم تبدأ هذه العقلية بتنظيم المعرفة فقط، بل أيضاً تنظيم العلاقة والنظام والزمن والمكان والمجتمع من الأعلى إلى الأسفل. في الواقع تمثل دولة الكهنة السومريين عتبة حصر القوة الإنتاجية للمعنى في المجتمع وتمركزها وإضفاء طابع خارجي عليها للمرة الأولى، ويتم الآن إنشاء نظام معرفة موحد تحت مسمى الحقيقة السماوية، حيث أصبحت الحقيقة في السماء، بينما ممثلوها على الأرض هم الكهنة، وقد أصبح هذا النهج مصدراً فكرياً لجميع الأديان والفلسفات والعلم والعلوم الاجتماعية والنظريات الاجتماعية والسياسية، إذ يتم تأسيس كافة الأنظمة السياسية والأحزاب والأشكال المماثلة بهذه العقلية، وكذلك يتم منح الوعي والقانون والنظام من الأعلى، بينما تتطور مرحلة الحضارة متدفقةً من المركز إلى الأطراف.

لم ينشأ هذا التطور فجأة، ولم ينشأ عن حاجة تقنية أو إدارية بحتة، بل على العكس؛ فبدلاً من إيجاد حل للتناقضات التي يعيشها المجتمع الكومونالي داخلياً، يتم توجيه هذا التحالف الثلاثي نحو الخارج أي نحو المركز، وبالتالي إلى تنظيم جهاز جامد كالدولة. بعد هذا التطور، نشأ نظام هيمنة أحادي مطلق، متجاهلاً معارضيته ومُعطلاً التيار الديالكتيكي للمجتمع، ففي أساطير؛ كصراع جلجامش وإنانا، وملاحم أنوما أليش البابلية، وما تلاهما، جميعها تمثل خرائط عقلية تُعبر عن هذه العملية.

لذلك تم تجميد جميع التناقضات التي تحدث في الحياة الاجتماعية، فالأطروحة الجديدة التي وضعها القائد عبدالله اوجلان تفتح أفاقاً جديدة للعقلية من خلال هذا التاثير، حيث أنّ البطيريركية والسلالة والدولة والطبقة، جميعها ليست نقيضاً طبيعياً وتحويلياً للأطروحة وللتناقضات الناشئة داخل الكومونالية، بل هي قمع وتجميد وتشفير أحادي الاتجاه لهذه التناقضات، أي ليست نقيضات للأطروحة ولا تحمل إمكانية التركيب، بل على العكس، إنها هياكل مضادة للديالكتيك، حيث تُجمّد الأداء الداخلي للديالكتيك من خلال توجيهها نحو الخارج، وتُشل المجتمع من خلال جعل التناقضات الحية ثابتة، لذلك فإن الدولة والطبقة والبطيريركية ليست نقيضاً، بل هي انهيارٌ للديالكتيك وقمعٌ أحادي الطرف وإكراه.

في هذا الإطار، لا ينبغي النظر إلى الدولة كجزء من الديالكتيك، بل كلحظة انهيارٍ للديالكتيك، أي الدولة ليست أطروحة ونقيضها، بل هي شكلٌ من أشكال التجميد، يتم فيه إخراج التناقضات التي لا يمكن إيجاد حل لها داخل الأطروحة، وسحبها إلى المركز وجعلها صلبة.

إن الأطروحة الأساسية للماركسية هي وضع قضية العمل ورأس المال والتناقض الطبقي في مركز النظرية الاشتراكية، ففي الواقع هناك مشكلة العمل-رأس المال وتناقضهما، لكن تناقض العمل-رأس المال ليس تناقضاً داخلياً حقيقياً، بل صراع

أدوار مُصمَّمة مسبقاً. لماذا نقول هذا؟ لأن الصراع الطبقي الذي تستند إليه الماركسية، يعتمد في الواقع على التضاد الذي تنتجه الدولة نفسها، وليس المجتمع، حيث أن الظاهرة المسماة بـ الطبقة لا تنشأ من البنية الطبيعية للمجتمع، بل من الانقسامات الهرمية التي تتطور داخل الحضارة الدولتية، وفي هذه الحالة؛ إن البحث عن اشتراكية قائمة على الطبقة لا يحرر المجتمع أبداً، (لأن الطبقة ليست تناقضاً داخلياً للمجتمع، بل تنشأ بالتناقضات الداخلية للدولة) بل إنه يعيد تأسيس الدولة من خلال طبقة أخرى، وفي النهاية هذا ما حدث، أي أن الاشتراكية التي حُطِّطَ لها وطُبِّقَتْ لم تُفْمَ بتحويل التناقض قط، بل غيّرت فقط موضع التناقضات المُجمَّدة، وأوجدت دولة مُجمَّدة أكثر صلابة من قِبل طبقة أخرى، لذا هناك تناقض بين العمل ورأس المال، لكن هذا الصراع هو محاكاةٌ للتناقضات المُجمَّدة.

لذلك؛ إن المفهوم الذي يسمى صراعاً طبقياً هو شكلٌ مشتقٌّ من التناقضات الداخلية للنظام الذي تطور بعد نمو المجتمع الدولتي، إذ تستند قصة التطور الأولى لتكوين الطبقات على هذا، ففي نهاية مرحلة المجتمع الكومونالي، تم تنظيم الدولة بعد أن تم إخراج التناقضات إلى الخارج ونقلها إلى المركز، وكذلك لم تظهر الطبقة في هذه الفترة من الأسفل ضمن الإنتاج، بل من الأعلى، حيث تواجد نظام الدولة من خلال إنجابها لنقيضها، وبالتالي يكون الصراع الطبقي هو التناقض الداخلي للحضارة الدولتية، ولهذا السبب لا تظهر الطبقات قبل الدولة، بل تزامناً مع الدولة، وبالتالي إن القوة الدافعة للتاريخ ليست الصراع الطبقي، بل الصراع الحقيقي في شخص المرأة بين المجتمع الكومونالي والدولة التي تسعى إلى الغصب والقمع والتجميد والتدمير.

في المجتمع الكومونالي، تنشأ تناقضات حيوية ومثمرة قبل التناقض الطبقي، مثل تناقض المرأة-الرجل، الطبيعة-الإنسان، كبار السن-الشباب، حيث تُشكِّل هذه التناقضات، الأولية والثانوية، محرك المجتمع التاريخي، ويتطور صراع الكومون-الدولة الموجود مع هذه التناقضات في حالة أكثر جوهرية وبنوية، لذلك يجعل القائد عبدالله أوجلان من تحرير المجتمع الكومونالي أساساً للتحليل التاريخي.

وبالتالي إن التناقض الطبقي ليس تناقضاً اجتماعياً في حدِّ ذاته، بل هو نتيجة مُشوَّهة، إذ ينشأ الصراع الطبقي عند تجمّد وقمع التناقضات الطبيعية، الخلاقة، الحيوية الموجودة في جوهر المجتمع. لذا إن التناقض الطبقي هو تناقضٌ ضمن الحضارة الدولتية، أي هو تناقضٌ داخليٌ للنظام، وليس تناقضاً داخلياً للمجتمع، أو بالأحرى هو على صلة بلبِّ المجتمع المكبوت، فهذا التناقض لا يُمثل جوهر المجتمع، لأن المجتمع في جوهره كومونالي وبلا دولة.

لقد تم تعريف التناقض الطبقي عبر التاريخ على أنه تضاد اقتصادي مستمر بين العمل-رأس المال، الغني-الفقير، العمال-أرباب العمل، لكن هذا التناقض ليس تضاداً متجذراً في المجتمع، بل هو صراعٌ في البنية الاجتماعية التي قمعتها الدولة وشكَّلتها من جديد. الطبقة هي بنيةٌ نشأت داخل الحضارة الدولتية، وتشكَّلت نتيجة قمع التناقضات الجوهرية، أما التناقض التأسيسي الحقيقي فهو عبارة عن توترات خلاقة تعيش في طبيعية المجتمع، مثل المرأة-الرجل، الشباب-كبار السن، الإنسان-الطبيعة، وقد أدى قمع هذه التناقضات إلى تجميد المجتمع، وأصبحت الدولة الشكل القاسي والصارم لهذا التجميد.

كل من الدولة والطبقة والسلطة هي نقيض زائف للمجتمع الكومونالي

إن الإجابة على سؤال؛ ما هو النقيض؟ في هذا السياق، سنُظهر للعيان التناقضات داخل نظام المجتمع الدولتي بأكمله، فهل هو موجود حقاً؟ في الواقع إن الدولة الذكورية أحادية الجانب المُطلقة (وهي حالة تجميد التناقضات الديالكتيكية) قد حالت دون تكوّن نقيض المجتمع النيوليتي نفسه، أي أدت إلى انقطاع عملية تكوين التناقض الديالكتيكي، لكن هذا لا يعني أن النقيض لم يتكوّن قط.

الدولة والطبقة الذكورية المهيمنة والسلطة جميعها شكلٌ أحادي الجانب للتناقضات المتجمدة، بمعنى ما؛ جميعها نقيض زائف للمجتمع الكومونالي الطبيعي، ولكي يتطور النقيض الحقيقي، يجب أن يكون هناك شكل اجتماعي تستمر فيه التناقضات الداخلية للمجتمع في العمل بحرية، لكن النظام الدولتي قَمَعَ التناقض وجَمَدَهُ وأعطاه شكلاً دون أن يعيشه، وبالتالي أصبح هذا الشكل هو الدولة، أي أن الدولة، كما في مثال التطور المقدم في المجتمع الكومونالي، هي الشكل المتجمد لمجتمع العقلية الذكورية الموجه نحو الخارج دون إيجاد حل لتناقضاته الداخلية، لذا فإن الشكل الأحادي الجانب للتناقضات المتجمدة هو الدولة، لكن ما لم يتم تحليل هذا الشكل، فإن الديالكتيكية في حد ذاتها لا تعمل.

إن المحرك الحقيقي للتناقضات الداخلية في المجتمع هو المرأة-الرجال، الطبيعة-الإنسان، الشباب-كبار السن، وربما لا تكون التناقضات داخلية بين الجمع والصيد أو المنتجات المشتركة ومن يحاول الاستيلاء عليها، لأن هذا المجال نفسه هو الذي وجه التناقضات نحو الخارج، إذن هذه هي التناقضات الطبيعية التي وجدت منذ فجر الحياة الاجتماعية، فعندما تُعاش هذه التناقضات في دياكتيكية مفتوحة، داخلية ومنتجة للحلول، حينها يُنتج المجتمع نفسه بنفسه.

إن تقسيم العمل في المجتمع الكومونالي بين الجمع والصيد المكملان لبعضهما البعض، هو دياكتيكي إنتاجي للحياة المشتركة المعاشة، فمع مرور الزمن، تم جعل هذه الديالكتيكية الإنتاجية مُطلقة بشكل أحادي الجانب، واليوم تتجلى هذه الرموز كأدوار أيديولوجية واجتماعية، فالصيد يتمثل بـ: الصياد، البطيريك، السلالة الحاكمة، الكاهن، المنافس، الساعي إلى الهيمنة خارج السوق، الجندي، العالم، المتدين، العقل الحكيم، الرمز السياسي والدولة-القومية، أما الجمع فيتمثل بـ المرأة التي يُصبح كل ما تقوم به غير مرئي كعملها اليدوي ورعايتها وإنتاجها الاقتصادي والعاطفي، وإدارتها الذاتية، ومعرفة الجماعة، وإنتاجها اليومي، وكذلك تصبح سجيناً في المنزل، ومُهمشة ومقموعة.

لذلك عندما تُقمع هذه التناقضات الداخلية، وهي الحالة الأكثر طبيعية للتطور الاجتماعي، فماذا يظهر بدلاً منها؟ نجد أنه عندما يُقمع التناقض بين الرجل والمرأة، يصبح الرجل إلهاً، يحكم بشكل مطلق، وبالتالي يتجمد التناقض، وتصبح المرأة مذنبية، مُهمشة، وبالتالي يتفكك المجتمع وتظهر أزمة، وفي الواقع ينتشر هذا في جميع الأديان والعلوم وعلم الاجتماع والعلاقات، أما عندما يُقمع التناقض بين الطبيعة والإنسان، تُصبح الطبيعة موضوعاً، ويصبح الإنسان حاكماً، وبالتالي تُستغل الطبيعة وتعمق الأزمة، أما عندما يُقمع التناقض بين الشباب وكبار السن، يصبح كبار السن هم الدولة والسلطة والسياسة، ويُهمش الشباب وبالتالي ينتهي التجدد الاجتماعي. إذن هذه المجالات هي مجالات أزمة لأن التناقض معطل، وبالتالي يتوقف التطور، وفي النتيجة نجد أن جميع المشاكل الاجتماعية تنبع من هنا.

لذلك عندما تُقمع هذه التناقضات، تُبرز الدولة والطبقة والسلطة، أما عند جعل هذه التناقضات حية، نشطة، ينشأ التنظيم الأخلاقي-السياسي والحياة الكومونالية، وبالتالي يصبح المجتمع مجالاً لإيجاد الحل للتناقضات وكذلك قادراً على إنتاج الحلول.

لذا فإن الجوهر التاريخي للمجتمع هو الكومونة، أي أن الكلان، العشيرة، القبيلة، الأقوام، الأمة الديمقراطية، الأشكال الأثنية والثقافية والدينية؛ هي الكيانات الطبيعية والأخلاقية والسياسية والعنقودية للمجتمع، وقد خضع هذا الهيكل الاجتماعي الكومونالي لعلاقة تطور طبيعية وداخلية لقرون عدة، أما الدولة فقد ولدت من رحم قمع الكومونة وتفككها، وبالتالي تنشأ الطبقة نتيجة قمع الكومونة. إن الطبقة هي نتاج الدولة، أما الكومونة فهي المجتمع في حد ذاته، لذا فإن جوهر الاشتراكية ليس الطبقة، بل المجتمع، والمجتمع هو الكومونة.

هذه نقطة تحول لكل من يسعى إلى إنشاء بناء تحرري، فإما أن تنشأ سلطة جديدة تنبثق من معارضات طبقية موجودة داخل الدولة، أو أن تتحرر طبيعة المجتمع نفسه بناءً على العلاقات الكومونالية.

وكنتيجة لذلك، لا يمكن تحرير المجتمع بإزالة الطبقات، بل بتحرير المرأة، وإعادة الانسجام مع الطبيعة، وجعل الطاقة الإبداعية للشباب حرة، وتنمية المجتمع الكومونالي، فالمجتمع كيان دياكتيكي، ولا يتحرر المجتمع بتوجيه التناقضات نحو الخارج وقمعها، بل بعيشها وإيجاد حلول لها، أما الدولة والسلطة فهما الشكلا المتجمدان لهذه التناقضات، والطبقة هي الناقلة لهذه العقلية.

إذن ما يجب فعله واضح جداً: من الضروري إيجاد حل للتناقضات المجردة، وتوجيه التناقضات نحو الحرية، وتنظيم ما هو مقموع وجعله مرئياً، وتطهير الجوانب التي تسبب تعفن الحركة الداخلية للمجتمع.

حقي تكين